



3 ديسمبر 2019

لَا تَبْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

أتصور مؤمنا بالله وبالقرآن يجد اليأس إلى قلبه سبيلا، مهما أظلمت أمامه الخطوب، واشتدت عليه وطأة الحوادث، ووقعت في طريقه العقبات.

إن القرآن ليضع اليأس في مرتبة الكفر، ويقرن القنوط بالضلال، قال تعالى: (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر: 56).

وإن القرآن ليقرره ناموسًا كونيًّا لا يتبدل، ونظامًا رباتيًّا لا يتغير، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا، إن الأيام دول بين الناس، وإن القوي لن يستمر على قوته أبد الدهر، والضعيف لن يدوم عليه ضعفه مدى الحياة، ولكنها أدوار وأطوار تعترض الأمم والشعوب كما تعترض الأحاد والأفراد.

(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (آل عمران: 140).

وإن حكمة الله في ذلك أن يبلو المؤمنين ويختبر الصادقين ويميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم، ويؤجر الصادقين الثابتين نصرًا وتأييدًا في الدنيا، ومثوبة ومغفرة في الآخرة

(وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد: 31).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: 142).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّنَّهِمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ تَصْرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ تَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: 214).

أقرب ما يكون هذا النصر إذا اشتدَّ الضيق وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

(حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (يوسف: 110).

ولم تختلف هذه القاعدة الربانية في الأمم السابقة، فكم من أمة ضعيفة نهضت بعد قعود، وتحركت بعد خمود، وكم من أمة بطرت معيشتها، وكفرت بأ نعم الله، فزال من الوجود، وأدافها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

(وَقَصَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفَيْدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي بِأَعْيُنِنَا قَبِيلَ مُوسَىٰ. وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاذْكُرُونِي أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَكُمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا سَوَّىٰ بَصِيرَتُهُمْ إِنَّمَا يُضِلُّ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أَعْيُنِنَا إِنَّمَا يَرَىٰ اللَّهُ الْغَافِلِينَ) (الأنعام: 84-6).

(إِنَّ فِي رُءُوسِهِمْ لَمَنَاسِكِينَ لَا يَدْرُونَ حَرْفَ الْقُرْآنِ وَإِن سَأَلْتَهُمْ لَمَّا نَزَّلْنَا الدُّرُجَاتِ لَئِن لَّا نُنزِّلُ الْغُبَاتِ لَخَسِرْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الأنعام: 6-4).

وإن القرآن ليمد هؤلاء الصابرين الأمليين الذين لا يجد اليأس إلى قلوبهم سبيلاً معين من القوة لا نفيض إلا من رحمة الله وقدرته، تتحطم أمامها قوى المخلوقين، وتعجز عن إضعافها والنيل منها محاولة العالمين، وما يعلم جنود ربك إلا هو.. (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاصْبِرْ لَهُمْ قَوْلَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِذْ صَارُوا إِلَى اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالقَبْضِ الْعَظِيمِ، إِتْمَا دَلِكُمْ السَّيِّطَانُ يَخَوْفُ أَولِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا رَبَّكَ الْغَلِيظَ) (آل عمران: 175).

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ عَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ فِتْنَتُهُمْ) (المائدة: 23).

وقد لا يخطر بالبال هؤلاء المؤمنين الصابرين أنهم سيصلون إلى الغاية يمثل هذا اليسر، أو تتحقق لهم الآمال بهذه السهولة، ولكن الله العليُّ يُدني منهم ما بُعد، ويهون عليهم ما صعب، ويوافيهم بالنصر من حيث لا يحتسبون.

(هُوَ الَّذِي أَحْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

يَخْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي فُلُوهِمُ الرَّعْبَ يُخْرَبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَأَلْهَمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ (الحشر: 2-3).

(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْبِهِمْ لَمْ يَتَّأَلَوْا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَدَفَ فِي فُلُوهِمُ الرَّعْبَ قَرِيبًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ قَرِيبًا) (الأحزاب: 25-26).

فيا أيها المؤمنون بهذا الكتاب الكريم..

أبليق بكم أن يقول قائل: ماذا نضع ونحن ضعاف وخصومنا أقوياء؟ أو يجمل بأحد منكم أن يتخلف وفي صدره هذا الأمل الواسع ومن ورائه هذا التأييد
الشامل عن وصف الجهاد؟.. اللهم لا.

www.ikhwanonline.com/article/237689